

فيه اسرائيل دور المركز وتكون الدول العربية هي التخوم.

وتتوقع اسرائيل ان تكون نقطة البدء اقامة سوق مشتركة للشرق الاوسط تجمع فيما بينها وبين العرب الجيران. وعندما لم تتحقق هذه الآمال حتى الآن، اتجهت الى تشكيل سوق مشتركة، بل منطقة للتجارة الحرة مع الولايات المتحدة الاميركية، على الرغم من بعد المسافة بين البلدين، وذلك بأمل لا يحيد، هو: فرض سيطرتها على المنطقة العربية بفضل الحماية الاقتصادية الاميركية المباشرة، والسافرة.

ومعنى ذلك ان حل النزاع بين العرب واسرائيل لا يمكن، أبداً، في اقامة الشرعية الدولية والحفاظ على سيادة الدول العربية على مواردها الاقتصادية، بل يمكن، في نظر اسرائيل، في الخيار بين الاستيلاء على ثروات العرب سلمياً، او الاستيلاء عليها بالحرب.

والواقع انه عندما تخطط اسرائيل لاقامة سوق اقتصادية - تجارية مشتركة للشرق الاوسط تلعب في داخلها دور المركز المتقدم، وتقدم على تكوين مشروعات مشتركة مع العرب انفسهم، وترضى حتى بدور الوسيط المالي او التكنولوجي فيما بين المنطقة العربية، من جهة، وبين العالم الرأسمالي، من جهة أخرى، فانها انما تحاول ان تهدد الصناعة الناشئة في مصر والجزائر والعراق، مثلما تهدد الزراعة النامية في المغرب وسوريا ولبنان، وتهدد المركز المالي للكويت والبحرين وحتى بيروت، وتهدد المركز التجاري التقليدي للبنان والاردن، بل وتهدد مكامن النفط في السعودية والكويت وامارات الخليج.

انه مشروع للوصاية الاسرائيلية الاقتصادية على العالم العربي برمته. وذلك مشروع ضخم لم تكن اسرائيل لتجرؤ على التفكير فيه لولا تواطؤ المراكز الرئيسية للرأسمالية العالمية معها فيه.

بيد ان تنفيذ هذا المشروع يفترض، في الواقع، استسلام العرب ايضاً لمصيرهم المرسوم. وهو ما لم يحدث حتى الآن، وان كان يوجد ذلك الاساس الموضوعي اللازم للتنفيذ، وهو ازدياد تبعية الاقتصاد العربي، في مجموعه، للرأسمالية العالمية، نتيجة للتغيرات الهيكلية التي طرأت عليه في اعقاب الطفرة النفطية في السبعينات.

ولا تكفّ الرأسمالية العالمية عن تقديم مساعداتها الحاسمة الى اسرائيل. وفي السنوات الاخيرة، حينما فشل مشروع كامب ديفيد في اجتذاب الدول العربية اليه، وخاضت اسرائيل، حتى رأسها، في مستنقع الغزو الغاشم للبنان، وتفجرت ازمته الاقتصادية التي لا قدرة لها على التغلب عليها، بادرت الولايات المتحدة الاميركية الى تقديم المساعدات المالية المباشرة التي قامت، حتى الآن، بعملية اطفاء الحريق وحسب. لكن اسرائيل طرحت على الولايات المتحدة الاميركية رؤيتها لحل دائم لاوضاع اسرائيل المختلفة. وكان الحل هو تكامل اسرائيل مع اميركا اقتصادياً، على أن يبدأ التكامل بصيغة متقدمة هي صيغة منطقة التجارة الحرة. واصطحبت هذه الصيغة التكاملية بتوسيع لكل محاولات العمل المشترك بين البلدين بحيث اصبح من المفهوم ان تتولى الولايات المتحدة الاميركية، حكومة ورجال اعمال، تزويد الصناعة الاسرائيلية بالمال الوفير والتكنولوجيا المتقدمة، بل وبالسواق، وسواء أتم ذلك في صورة استثمار اميركي في اسرائيل، منفرد او مشترك، مع الرأسمالية الاسرائيلية.

مثل هذا التكامل الاقتصادي يكفل للاقتصاد الاسرائيلي توسعاً جديداً يعزز قدرة اسرائيل على المواجهة والردع، ثم على المزيد من التوسع في الارض العربية. وذلك هو التحدي